فرانكنشتاينات سروشية

دراسة نقدية لأطروحات عبد الكريم سروش



تأليف

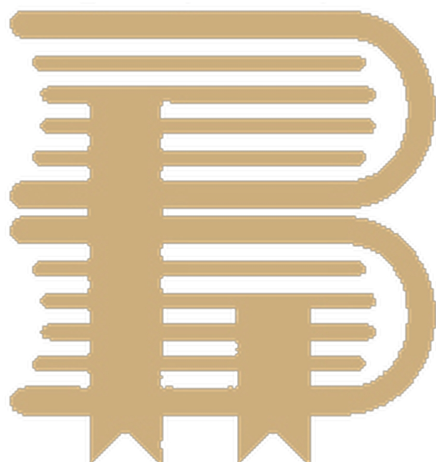
ليث العتابي

فرانكنشتاينات سروشية

دراسة نقدية لأطروحات عبد الكريم سروش

تأليف

ليث العتابي



اسم الكتاب: فرانكنشتاينات سروشية.

اسم المؤلف: ليث العتابي.

دار الطباعة: أفكار للطباعة.

البلد: جمهورية العراق.

سنة الطباعة: ٢٠٢٠ ميلادي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)) سورة الأنعام، الآية (١١٢)

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ((اضربوا بعض الرأي ببعض يتولد منه الصواب)) غرر الحكم: ٤٤٢.

المقدمة

إن لتطور المعرفة، أو للتطور دور كبير وبارز خصوصاً في المجال المعرفي، وذلك ان كان ضمن النطاق الصحيح للتطور، ووفق أسس المعرفة الحقيقية، أما الخلط المعرفي ـ ونعني به المتعمد ـ فسيسبب خللاً كارثياً؛ أساس ذلك الخلط المعرفي؛ وجود خلل في المنهج المتبع من البداية، إذ ان الخلل المنهجي سيؤدي إلى خلل معرفي لا محالة.

إن لدخول (السفسطة) في المجال المعرفي دور في تشويه الحقائق، وحرف المسارات، وتشتت المناهج والأفكار، ورغم امتلاكها لاسم لا يحبذه متبنوها إلا أنها أخذت أسماءً أخرى منها: (المنهج النقدي)، و(الطرح التجديدي) وذلك بنسبية العموم والخصوص المطلق بحسب اصطلاح المناطقة في شرحهم لمثل هكذا علاقات.

إن الجامع المشترك لـ(السفسطة) و(الخلط) و(الجهل المركب)؛ هو وجود منهج (هجين) متكون من متضادات وممتنعات ومتنافرات لا يمكن لها ان تجتمع سوياً أبداً.

لقد أبدعت الكاتبة البريطانية ماري شيلي (١٧٩٧ ـ ١٨٥١م) في رسم شخصية (فرانكنشتاين) في روايتها المشهورة (فرانكنشتاين) أو (بروميثيوس الحديث)، والتي نشرتها (١٨١٨م).

على الرغم من ان اسم (فيكتور فرانكنشتاين) هو اسم العالم الذي جمع أشلاء الأجساد البشرية ليصنع منها مخلوقاً هجيناً هو (بروميثيوس)، إلا ان (المسخ) و(الهجين) المصنوع قد حمل اسم (فرانكنشتاين) ليُعرف ويشتهر به، وليكون اسم (فرانكنشتاين) دالاً على كل ما هو هجين.

لقد اصبح اسم (فرانكنشتاين) يطلق على اسم ذلك (المسخ) الذي صنعه عالم مجنون من بقايا جثث وأشلاء البشر بطريقة ما، كما صار اسم (فرانكنشتاين)

مصطلحاً يطلق على كل ما هو هجين، ويطلق على كل ما هو غير متناسق، من هذا كله استوحيت اسماً لكتابي في الرد على اطروحات الكاتب الإيراني (حسين حاج فرج الدباغ)، المعروف باسم (عبد الكريم سروش)، ذلك ان (حسين حاج فرج الدباغ) قد ابتدأ حياته باسم مستعار وهجين مكون من اسمين أو مقطعين؛ اسم (عربي ـ إسلامي)، واسم (أجنبي ـ عائم)، كما وان (سروش) هو اسم الكاتب الفرنسي المتخصص في علم الأديان (هنري سروش)، والذي في الظاهر قد وصل إلى (حسين حاج فرج الدباغ) عن طريق قراءة أفكار وكتابات (ميشال مسلان) الذي يعد المؤثر الكبير على (الدباغ)، بل ان جملة مستكثرة من أفكاره قد أخذها من (ميشال مسلان) المتخصص في علم الأديان.

إن (الفرانكنشتاينية) عند (عبد الكريم سروش) لم تقتصر على اسمه فقط، بل شملت كل أفكاره واطروحاته، بل وحتى في جزئيات الجزئيات، حتى اصبح ـ بحق ـ محترفاً في (السفسطة)، و(الهجانة)، و(السرقة)، و(التغييب)، و(الاتهام)، ليبرز نفسه رغم كل ذلك بصورة (القديس)، و(المصلح)؟!

إننا وفي هذا الكتاب سوف نتطرق لأطروحات (عبد الكريم سروش) الهجينة والتي سميناها بـ(الفرانكنشتاينات) نسبة إلى كل ما هو (هجين)، ووصفناها بـ(سروشية) نسبة إلى (عبد الكريم سروش)، وبذلك اصبح عنوان الكتاب هو: (فرانكنشتاينات سروشية)، متناولين فيه أبرز أطروحات (عبد الكريم سروش) الهجينة والمسروقة والمنتحلة.

المؤلف

١٤٣٩هجري

السوفسطائية أو السفسطة

لقد ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد في اليونان القديمة جماعة تقول بمذهب الشك في كل شيء، حتى في وجودهم، وأخذوا يشيعون أفكارهم وعقائدهم الغريبة، وقد سيطر الفكر السفسطائي على الذهنية اليونانية ردحاً من الزمن، حتى تم القضاء عليه بعد ذلك من قبل الحكماء والعلماء الكبار، كسقراط وأفلاطون وأرسطو، حيث أظهروا المغالطات التي كانت تنطوي عليها أدلتهم، وتمكنوا من القضاء على وباء السفسطة، وتمكن أرسطو من خلال تدوين علم المنطق من تنظيم الفكر على الأسس الواقعية، وبرغم ذلك لم يمض وقت طويل حتى ظهر مذهب آخر باسم (اللاأدرية) على يد (بيرهون، ٢٧٥ ــ ٣٦٥م)، وتحول مذهب إنكار الواقع إلى مذهب الشك المطلق، إلا أن هذا المذهب لم يكتب له البقاء طويلاً، وسرعان ما دفن في مقابر التاريخ .وقد ظهر مذهب التشكيك في الانبعاثة الغربية التي حدثت مؤخراً، متخذة هيئة علمية، وقد تجلت همم مجموعة من فلاسفة الغرب ــ بدلاً من رفع بناء الفلسفة الرصين ــ في تقويض هذا البناء ثانية، وكان كلّ ما أبدعوه هو الحديث بشك وترديد، فلم يبلغ إبداع الفلاسفة الإنجليز إلا أن حطموا صرح الفلسفة الرفيع الذي كان قائماً، دون أن يضيفوا شيئاً جديداً. لا جدال في كون الشك معبراً إلى اليقين، فما لم يشك الإنسان لا يصل إلى اليقين، إلا أن الشك إنما يكون مرغوباً فيه إذا كان قنطرة موصلة إلى اليقين، وأن يكون ممراً لا مقرّاً، ولكن للأسف الشديد يبدو أن الشك عند هذهِ الجماعة قد أضحى مقراً، ولم ينظروا إليه كممرّ.

إن السوفسطائية

على كل فلسفة ضعيفة الأساس متهافتة المبادئ كفلسفة الريبية الشكية واللادرية. والسوفسطائية حركة فلسفية غير متكاملة ضمن نظام، ظهرت في القرن الخامس قبل الميلادي، ومركزها أثينا، وهي فلسفة عملية تقوم على الإقناع لا على البرهان العلمي أو المنطقي، وعلى الإدراك الحسي والظن، وعلى استعمال قوة الخطابة والبيان والبلاغة والحوار الخطابي، والقوانين الجدلية الكلامية بهدف الوصول إلى الإقناع بما يعتقد أنه الحقيقة، وبهذا المعنى أصبحت السوفسطائية عنواناً على المغالطة والجدل العقيم واللعب بالألفاظ وإخفاء الحقيقة

استنباط العيوب والحسنات والنتائج، وتقوم هذه الطريقة أساساً على مبدأ الشك، الشك في الموجودات وفي الوجود بالذات، والشك في القيم وفي الأخلاق، إضافة إلى التشكيك في السياسة، فلا حقيقة ثابتة مطلقة ولا خير مطلق، وصار الرأي أو الظن والتخمين معياراً للحقيقة، وهذا معنى عبارة بروتاغورس: الإنسان هو مقياس كل شيء.

لقد واجهت النزعة السوفسطائية هجوماً كبيراً، فيما يتصل بموقعها داخل التفكير الفلسفي العلمي، حيث عدّ أفلاطون وأرسطو الحركة السوفسطائية حركة هدم وتمويه، وضرباً من الجدل والتلاعب اللفظي، فهي بعيدة عن الحقيقة والفلسفة وغايتها الوصول إلى الإقناع تبعاً للطلب وحسب الحاجة، تباع فيه المعرفة وتشترى، فالسوفسطائي حسب رأي أفلاطون: صورة زائفة للفيلسوف، همّه الوحيد تعليم فن الخطابة وأخلاق النجاح والمتعة والمنفعة، وتأكيد الذات، وذلك للارتزاق واقتناص الناس من ذوي الحب والمال.

اما هيغل فقد أعاد الاعتبار إلى هذه الحركة، فرفع من شأن الفلسفة السوفسطائية، كونها تمثل مرحلة أساسية من مراحل تطور الفلسفة اليونانية. ونظر أيضاً مؤرخو الفلسفة إلى السوفسطائية على أنها حركة ذات أهمية خاصة في تاريخ اليونان الروحي والحضاري، وفي تكوين الفكر الفلسفي الخلاق والإيجابي، وأنها، لم تكن حركة هدم بقصد الهدم المجرد، وإنما كانت حركة هدم لبناء من جديد لأنها كانت تعبر عن روح العصر، ومن بعده تأثر بها ديكارت، وفردريك نيتشه.

اعلموا ان للشبهات مقياساً

إن المقياس مهم في كل شيء، وبالخصوص في معرفة الحق ودفع الباطل، وفي جلب الخير ودفع الشر، وفي جذب النفع ودفع الضرر.

إنا شخصياً أتعجب من سماع شخص يقول بأن له نهج واحد وخاص في الإجابة على الشبهات، ذلك ان الشبهات أنواع، وان تنوعها يفرض وجود مقياس لها تقاس به.

لذلك كام من اللازم عليّ أن أبين الشبهات مع بيان مقياسها في عجالة من الكلمات لكي يتوضح المنهج في معرفة الشبهات، ومقياسها، وطريقة وأسلوب الرد عليها، ومقياسنا سيكون وفق نوع الرد، لذلك فإن الشبهات وفق ذلك ثلاثة هي:

١ـ الشبهات التي يُسكت عنها:

وهي الشبهات التي فيها تعرض لشخص الشخص، أو لمؤسسة أو مركز أو دائرة من الدوائر تابعة له، وهنا السكوت عنها أولى لعدة اعتبارات منها: قد يكون في الرد تثبيت لها، وقد يكون في الرد ظهور لـ(الأنا) الشخصية، وقد يكون في الرد مدح وفخر ورياء مفرط، وما شاكل ذلك.

فيكون السكوت عن مثل هكذا شبهات أفضل حل وأفضل رد عليها؛ لكي تنتهي وتموت وتذهب إلى غير رجعة.

٢ـ الشبهات التي يرد عليها بأسلوب النقض والإبرام:

وهي الشبهات التي تثير العداوة تجاه جهة ما، أو دين ما، أو مذهب ما، أو عمل ما، أو وضعٍ ما.

إن هذه الشبهات لا بدّ من الرد عليها بأسلوب (النقض والإبرام)، والذي يقتضي حلحلتها، وتفكيكها، ومنهجة مطالبها، ومن ثم البحث عن منطلق في

الرد كأن يكون (المشتركات)، أو (وحدة المطلب)، أو (الجامع)، أو (الهدف الواحد).

وهذا النوع من الشبهات قد يحتاج في الرد عليه إلى وقت طويل جداً، ولربما سنوات أو عقود حتى تتضح النتيجة.

٣ـ الشبهات التي يجب التصدي لها بقوة وسرعة:

وهي الشبهات التي تمس الاعتقاد، والشبهات التي لو بقيت لتسببت بانحراف المجتمع، وانحراف الشباب، وهذه يجب التصدي لها بكل قوة، لأن التأني بشأنها سيسبب الضرر الذي سيكون كالخلية السرطانية التي يصعب ايقافها.

بعد ذلك نفهم ان الشبهات انواع، وان لها مقاييسها الخاصة بها، فليست كل شبهة يسكت عنها، وليست كل شبهة يتعامل معها بأسلوب النقض والابرام، وليست كل شبهة يتصدى لها بقوة.

إن علينا معرفة الشبهات، وانها شبهات حقيقية، ثم معرفة نوعها، ثم مقياسها، ثم التعامل معها وفق ذلك المقياس.

ما هو سبب كثرة الشبهات وقلة الردود؟

إن من اليقين ان لكل زمان ميزاته الخاصة به، ومن ميزات المجتمع المعرفي الذي توجد فيه فئات قليلة وهامشية ان تكون الردود على تشكيكاتهم أكثر وأقوى من شبهاتهم، لكن على العكس في المجتمعات غير المعرفية، أو المجتمعات المشغولة بغير المعرفة، فإن الشبهات تكون أكثر وأقوى من الردود، لذلك يتبادر السؤال حول اسباب ذلك.

إننا وفي الجواب عن السؤال نرصد علة اسباب أدت إلى كثرة الشبهات من جانب، وإلى قلة الردود عليها من جانب آخر، وهي:

١ـ الابتعاد عن القرآن الكريم:

فالمجتمع الذي يدعي الإسلام ومع ذلك يبتعد عن مصدره الأساس سيكون ضعيفاً أمام أي شبهة تثار ضده، وبالخصوص الشبهات التي تثار على القرآن الكريم، فكيف له ـ للمجتمع ـ ان يدافع عن كتاب لا يعرف عنه شيئاً سوى انه كتاب (للبركة) فقط؟!

فمع الابتعاد عن القرآن الكريم في (مؤسساتنا الدينية)، و(مؤسساتنا الأكاديمية)، و(المساجد)، و(الحسينيات)، و(المجتمع)، و(الأسرة)، و(الفرد)، فمن اليقين ان تثار الشبهات على القرآن الكريم ولن نستطيع الرد عليها، مع ان أكثرها شبهات واهية تعكس جهل القائل بها.

٢ـ الخلو من الذوق القرآني:

المفروض ان الذوق القرآني شيء موجود عند المسلمين جميعاً، وليس عند من يحفظ جميع آيات القرآن الكريم فقط، فلسان القرآن الكريم (عربي مبين)، وذوق القرآن الكريم (بلاغي)، وكلمات القرآن الكريم (شاعرية)، لذلك فمن

المفروض ان هناك ذوقاً قرآنياً عند كل مسلم، ومع عدم وجود مثل هكذا ذوق فإن الشبهات سوف تأخذ مأخذها في الفرد والمجتمع.

٣ـ انعدام عوامل الجّذب الداخلي:

إن في المجتمع قصصاً، وابطالاً، ومواقف، وصفات، وعلائم، وآثار، تثير الانتماء والذوبان والجذب غير المنفك عند أبناء ذلك المجتمع تصل إلى حد الاعتزاز والفخر به. هذه العوامل الجاذبة هي التي تعتبر الرصيد (القومي)، و(الوطني)، و(الانتمائي) للمواطن في وطنه، وللمجتمع في ذلك الوطن. ومع وجود هكذا عوامل فإن أفراد المجتمع لن يجعلوا له بديلاً، بل سيكون جاذباً لغيرهم من مجتمعات وبلدان أخرى.

٤ـ وجود عوامل الجذب الخارجي:

إن من أسباب نفرة المواطن من وطنه وجود عومل تنفير داخلية، مع توفر عوامل جذب خارجية توجد في الخارج ولا توجد في بلده مثل: الحرية، واحترام الإنسان، والأمان، والعمل الوفير، وغير ذلك. فتوفر مثل هكذا عوامل في الخارج سوف تضعف الداخل الذي يزيد فيه احترام الغير أكثر من أبناء البلد الأصليين، وتسلط الغير على أبناء البلد الأصليين، وحكم الأقليات للأكثرية في البلد.

إن إثارة عوامل الجذب الخارجية، والتنفير من عومل النفرة الداخلية أحد أهم أدوات (الحرب الناعمة) التي لا يفهمها الكثيرون مع شديد الأسف.

ما بين الإسقاط والالتقاط

في هذا المبحث سنبين الفرق ما بين (الإسقاط)، و(الالتقاط)، وبالتالي معرفة كيف تبنى البعض كلاهما أو أحدهما.

١ـ الإسقاط:

عُرف الإسقاط بأنه هو:(تفسير الأوضاع والمواقف والأحداث بتسليط خبراتنا ومشاعرنا عليها، والنظر إليها من خلال عملية انعكاس لما يدور داخل نفوسنا)[١].

وقد عُرف المنهج الإسقاطي بأنه هو: (إسقاط الواقع المعيش على الحوادث والوقائع التاريخية، إنه تصور الذات في الحدث، أو الواقعة التاريخية)[٢].

يدخل فيه جميع الأفكار والقبليات الفكرية التي تلقي بظلالها لتكون رؤية منسجمة مع المكون الثقافي للشخص، في خلط نفسي وفكري واضح ينتج عنه تصورات شخصية بحتة قائمة على الانعكاسات النفسية الشخصية وليس على الحقائق العلمية والأدلة العملية الموجودة.

ويتولد ذلك بسبب(خضوع الباحث لهواه، وعدم استطاعته التخلص من الانطباعات التي تركتها لديه بيئته الثقافية المعينة)[٣].

٢ـ الالتقاط:

أما الالتقاط فهو(انتقاء رؤية معينة من بين النظريات والآراء المطروحة في حقل من حقول المعرفة)[٤].

(١) موسوعة علم النفس، أسعد رزوق، ص٤٠.
(٢) مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القرآن، حسن عزوزي، ص٣٣.
(٣) التراث والتجديد، حسن حنفي، ص٩٠.
(٤) الدين والافكار الالتقاطية، مقال، موقع الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، www.mesbahyazdi.org .

فيكون الالتقاط هو: الاعتماد على بعض الآراء، أو بعض الأحداث، أو بعض النصوص، أو بعض الروايات، بهدف رسم رؤية على وفق ذلك البعض الملتقط.

نبذة عن حياة عبد الكريم سروش

سنتطرق في هذا المورد إلى ذكر عجالة عن حياة (عبد الكريم سروش)، فاسمه هذا هو اسم مستعار، أما اسمه الحقيقي فهو (حسين حاج فرج الدباغ)، وهو من مواليد (طهران ـ إيران) سنة (١٩٤٥م)، ابتدأ دراسته الأولية في مدينته (طهران)، ومن المدارس التي تدرج فيها هي (ثانوية الرفاه) التي تعتبر من المدارس التي كانت تجمع بين الدراسة الدينية وبين دراسة المواد العلمية المعاصرة، بعد ذلك التحق بـ(جامعة لندن) في فرع (الكيمياء)، وبقي يتدرج هناك حتى حصل على درجة الدكتوراه في تخصص الكيمياء والصيدلة، كان سفره إلى (لندن) بمنحة دراسية حصل عليها في زمن حكومة (الشاه) ليدرس الكيمياء في (جامعة لندن)، فكان أن درس إلى جانب هذا (العلم التجريبي) علوم أخرى كالفلسفة والتاريخ والتصوف وعلم الأديان، واطلع على كتابات أمثال: (والتر ستيس)، و(جون هيك)، وغيرهما من مفكري أوربا في مجالات (الأديان)، و(الفلسفة)، و(النقد الثقافي)، والذي سنتطرق له في مكانه ومورده.

لقد كان (الدباغ) أو (سروش) متأثراً بأفكار (علي شريعتي) و(مرتضى المطهري)، وذلك قبل الثورة الإسلامية في إيران.

بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران فقد عاد (سروش) إلى بلده (إيران) ليشغل مناصب عليا على مستوى الدولة، وعلى مستوى (الدراسات الثقافية)، فأصبح عضواً في لجنة (الثورة الثقافية) بكلية المعلمين، ثم عُين من قبل (السيد الخميني) عضواً في مجلس (الثورة الثقافية)، والذي كُلف بإعادة النظر في كل المناهج الدراسية وطواقم التدريس؛ لتحقيق التوافق بينها وبين نظام الحكم الجديد في إيران، وقد استمر في هذا المجلس لمدة أربع سنوات.

إلا ان هناك خللاً قد حصل ليترك بلاده (إيران) ويرجع إلى بلاد الغرب؟! فرحل بعد ذلك إلى (أمريكا) ليستقر فيها مدرساً للفلسفة والتصوف في الجامعات الأمريكية.

أما اسم (سروش) فهو اسم الكاتب الفرنسي المتخصص في علم الأديان وهو (هنري سروش)، والذي أخذه (حسين الدباغ) ليتقمصه فيكون اسماً قد اشتهر به، وسيظل!

كتابات ردت على أفكار واطروحات سروش

إن الكثير من الشخصيات وفي مختلف الأوساط (الحوزوية)، و(الأكاديمية) قد انبرت للرد على أفكار واطروحات عبد الكريم سروش، وسنتعرض بالسرد لأشهرها مما وقع في أيدينا، فذلك هو المجمل منها وليس الكل، ومن هذه الدراسات:

١ـ رد الأستاذ الدكتور عبد الأمير زاهد في كتابه (قراءات في الفكر الإسلامي المعاصر)، دار الضياء، النجف الأشرف ـ العراق، ٢٠٠٨م.

٢ـ رد الدكتور علي حرب في كتابه (هكذا اقرأ ما بعد التفكيك)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٥م.

٣ـ رد السيد عمار أبو رغيف في كتابه (الأسس المنطقية للاستقراء في ضوء دراسة سروش)، مجمع الفكر الإسلامي، قم ـ إيران، ١٤٠٩هجري.

٤ـ رد الأستاذ علي أحمد الكربابادي في كتابه (قراءة في تعدد القراءات)، دار الصفوة، بيروت ـ لبنان، ٢٠١٠م.

٥ـ رد السيد محمد حسين الطهراني في كتابه (نظرة على مقالة بسط وقبض نظرية الشريعة)، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤هجري.

٦ـ رد الشيخ غالب الناصر في كتابه (مباني الدين التجريبي والتعددية الدينية)، مركز الفكر الإسلامي المعاصر، النجف الأشرف ـ العراق، ٢٠١٢م.

٧ـ ما خصصته مجلة (نصوص معاصرة) من ملف خاص في العددين (١٥ ـ ١٦) صيف وخريف عام (٢٠٠٨م)، وكذلك في العددين (١٧ ـ ١٨) شتاء وربيع عام (٢٠١٠م)، تحت عنوان (الدراسات القرآنية، إشكالية الوحي والمعضلات التفسيرية).

وردود وكتابات أخرى، منها ما كان عنواناً لكتاب مستقل، ومنها ما كان رداً ضمن سلسلة ردود داخل الكتاب الواحد، ومنها أبحاث ومقالات نشرت في صحف ومجلات ومواقع الكترونية، وهذا ما صعب جمعها جميعاً واحصائها، لكن ذلك لن يمنع من الإشارة العامة لها، أو لأبرزها، ومن ثم الانطلاق في رد يعتمد على بيان أسس اطروحات المقابل للرد عليه، إذ ان اسلوب (قال وأقول)، أو أسلوب (الكلام يجر الكلام)، قد عفى عليه الزمان، ولا ولن يجدي نفعاً، وهو اضاعة للوقت والجهد، أما الرد وفق مبدأ (ضرب الأسس) هو المنهج الصحيح في الرد، إذ انه يوفر الوقت والجهد للكاتب والقارئ على حدٍ سواء.

أسس أطروحات عبد الكريم سروش

إن للأطروحة التي تبناها عبد الكريم سروش ومن حيث الظاهر نظريتين أساسيتين هما:

١.التجريبية:

إذ سخرها لتكون (تجريبية دينية)، فإن (تجريبية) سروش قائمة على اطروحة ما يسمى بـ(التطور الحضاري) في دعوى لتكوين مجتمع (متحرر) من سلطة الدين، وذلك في سبيل تحقيق تحرر من (الأسطورة) إلى حكم يقوده (العلم الحديث) فقط بحسب مدعى عبد الكريم سروش!؟

إن عبد الكريم سروش يسمي كل ما هو ديني بـ(الأسطورة)، وذلك تقليداً لأفكار من تأثر أو من سرق منهم تلك الأطروحات، ليتبنى ما يسمى بـ(العلم التجريبي)، في دعواه المزعومة ديماغوجياً بـتطوير الدين!

فعبد الكريم سروش يقول: (لا بدّ أن نسحب أيدينا من كون الفقه؛ فقهاً وعلماً وديناً، لأن التفسير العقلائي في إطار حل المشاكل الاجتماعية والدنيوية أمر متداول لدى جميع عقلاء العالم، ولا حاجة بنا إلى الالتزام مثلاً بالتطهير الشرعي، فكلما يفرزه العلم الحديث في مجال الصحة يجب العمل به ... فلا يمكن القول حينئذٍ ان وظيفتنا تتركز في إجراء الأحكام الإلهية في حركة الحياة، بل وظيفتنا تتلخص في سلوك الطريق العقلائي في حل المشكلات الفردية والاجتماعية من خلال المصالح العرفية)([1]).

وبذلك يتوضح مدى التماهي المطلق مع العلوم التجريبية لتُجعل حاكمة في كل شيء وعلى كل شيء حتى على الاعتقادات والعبادات والممارسات والاخلاقيات الإنسانية، وذلك هو العجب العجاب!

([1]) القبض والبسط في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم سروش، ص١١٦.

٢. التعددية:

وذلك في المجال الديني لتكون(تعددية دينية)، فتعددية عبد الكريم سروش قائمة على تعددية تصل إلى قراءات النص القرآني ليصفه بأنه (نص بشري)، وانه من صنع النبي محمد (ص) كما يزعم، وذلك عبر ممارسات (تأويلية) قائمة على أسس (مادية) بحتة، وعلى طرح (تاريخاني) متطرف.

وهذا ما دعا الكاتب والمفكر المغربي الأستاذ إدريس هاني إلى نقده وذلك بقوله: (كنت أرى بعض المثقفين الإيرانيين غارقين في تنزيل نتائج الهيرمينوتيكا المسيحية على المتن الإسلامي من دون إعمال نقدي وإبستيمولوجي لهذه الهيرمينوتيكا)([1]).

إن عبد الكريم سروش يستعين هنا وهناك بخليط من نظريات أخرى (متوافقة)، و(متفارقة) كـ(الهرمنيوطيقيا)، و(النقد الثقافي)، و(فلسفة الأديان)، و(العرفان)، و(المادية)، وغيرها، بل ويستعين بأفكار أشخاص من مختلف التوجهات (المتصالحة)، و(المتحاربة) في سبيل التحشيد، مع ان اكثر استعاراته ان لم نقل الكل لا يرجعها إلى اصحابها ابداً، لتكون تلك الاستعارات هي (سرقات) حقيقية من مفكر لا يمتلك إلا أفكار غيره!؟

والقارئ يلحظ عند قراءة كل كتب سروش ان هناك أكثر من نظرية وأكثر من طرح واكثر من منهج واكثر من تبني حتى يصاب بهلوسة قرائية تشط به إلى شاطئ التشتت والضياع، ذلك ان كتب سروش هي خطابية أكثر من كونها فكرية، وهجومية أكثر من كونها تصالحية، ونقدية هدامة أكثر من كونها بناءة، وتفريقية أكثر من كونها توحيدية، وناقمة أكثر من كونها متصالحة، ومؤدلجة أكثر من كونها معرفية.

([1]) الإسلام والحداثة، إدريس هاني، ص٣٠٥.

إن من أشهر الدعوات والاطروحات التي نادى بها عبد الكريم سروش هي:

١ـ إن الوحي الذي وصل للنبي محمد (ص) شيء وما أوصله النبي محمد (ص) للناس شيء آخر.

٢ـ إن الدين لا يعدنا بالكثير.

٣ـ عدم إمكان الوصول إلى الواقع كاملاً.

٤ـ القول بتعدد الصراط (صراطات).

٥ـ اصالة الكثرة والتعدد.

٦ـ لا قداسة للفهم الديني.

٧ـ تاريخية الفهم.

٨ـ لا بدّ من القبول بالأفهام المتعددة.

٩ـ منح جميع الأطراف المشكوكة درجة التساوي.

١٠ـ اختلاف الديانات أنفسها والأنبياء أنفسهم.

وهذه الدعوات (العشر) المتقدمة ما هي إلا غيض من فيض دعوات كثيرة نادى بها سروش، يعيد صياغتها وترتيشها كلما سنحت له الفرصة، وكلما اعتراها الزوال.

فرانكنشتاينات سروشية

إن عبد الكريم سروش لا يهتم بتأويل النص القرآني وفق منهج التأويل الصحيح، وذلك لأنه لا يعتبره نصاً موحى، ذلك ان ما حصل عليه النبي محمد (ص) ـ وبحسب مدعى سروش ـ هو مضمون الوحي، فصاغه للناس في إطار يتوافق مع مستوى أفهامهم بأدواته الخاصة وبأسلوبه الخاص! كما وان النبوة ـ بحسب اطروحة سروش ـ تزداد كلما ازدادت التجربة والخبرة والسنوات والمعلومات(١)! كما ويقول: بأن البيئة هي التي تحدد مظهر الدين(٢). وبذلك فإن الدين ـ أي دين ـ يعيش حالة محلية بعيدة عن الطرح الإنساني العالمي، وذلك بحسب طرح سروش حول ذلك؟!

إن اطروحات عبد الكريم سروش مجرد (تأويلات) مشوهة أخذت من المسيحية والبوذية والبراهمية والزرادشتية الشيء الكثير، مع صياغات أخذها من هنا وهناك في خلط ما بين (حسي)، وآخر (عقلي)، و ما بين (نزعة مادية) من جانب، ونزوع (عرفاني) من جانب آخر!

إن تلك الأفكار التي طرحها سروش ما هي إلا خليط عجيب، فما ذلك الخليط العجيب الذي صنعه سروش؟ انه بحق (فرانكنشتاين) هجين ومشوه أكثر من (فرانكنشتاين) الحقيقي، بل هي بحق (فرانكنشتاينات سروشية) لا تنتهي سببها العداوة، أو التسقيط، والعناد، الذي نبع عن نقد ولربما حقد لمنظومة اختلف معها سروش لينقلب على كل ما هو مشابه ومشاكل لها!

إن من الدوافع التي دفعت دعاة التماهي مع النظريات الأوربية كأمثال عبد الكريم سروش هو عدم انسجام مضمون (الإنجيل) مع الاكتشافات العلمية

---

(١) ظ: بسط التجربة النبوية، عبد الكريم سروش، ص١٥.

(٢) ظ: بسط التجربة النبوية، عبد الكريم سروش، ص١٤٧.

الحديثة، كما وان الطرح العلماني انطلق في أوربا بسبب هيمنة الكنيسة على أفعال الناس في أخص خصوصياتهم.

إن هناك جملة من دعوات عبد الكريم سروش التي اطلقها، ففي دعوى (تاريخية الفهم) التي تبناها سروش يتبين لنا أنها دعوى نادى بها (النسبيون) الذين قالوا بتاريخية الفهم، وأنكروا وجود الفهم المستقل وغير التاريخي، ولهذا نالت جميع القراءات عندهم مرتبة الرسمية، وأنكروا إمكان المقايسة بين الأفهام والقضايا في الحقل المعرفي الواحد، وترجيح بعضها على الآخر، فلا يوجد لديهم شيء اسمه (صدق) أو (حق) أو (معتبر) أو (باطل)([1]).

إما دعوى سروش بمنح جميع الأطراف المشكوكة درجة التساوي مضافاً إلى دعوى قبول كل الأفهام المتعددة؛ فهي ممتنعة وذلك بحسب القاعدة العقلية المنطقية (النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان)، فلا يمكن ان يكون الشيء موجوداً وهو في نفس الوقت ليس بموجود، ولا يمكن ان تكون الورقة بيضاء وسوداء في نفس الوقت.

كما وان عبد الكريم سروش يقتبس من الهرمنيوطيقيا الشيء الكثير في بناء نظريته حول (القبض والبسط) وفق منهج هرمنيوطيقي تأويلي وابستمولوجي مستمد من اطروحات (عمانويل كانط)، كما ولا يخفى استفادة سروش من نظريات (غاستون باشلار) في مفهوم القطيعة، ونظريات (غروفيتش) حول الأطر الاجتماعية للمعرفة، وما طرحه (توماس كون) حول البارادايغم، وكذلك ما أخذه من (غادامير) من كون الإنسان موجود تاريخي، وما انتحله من أفكار وطروحات (هايدجر)، كما وان سروش يؤسس لتصور عن الدين بطابع فردي

([1]) ظ: قراءة في تعدد القراءات، الكربابادي، ص١١٣.

متأثر بالتحولات التي طرأت على الفكر اللاهوتي المسيحي وفق تصورات (تليش) التي اقتبس سروش منها الشيء الكثير.

نعم، (إن المفكر سروش دخل في إعادة ترتيب المكونات الفكرية للرواية الإسلامية، ليوجد فسحة لمثل تلك النظريات جون لوك، وروسو، ودارون من جهة، وأوغل في تفاصيل نقد البنى الفكرية الإسلامية، لا سيما في الفقه والأصول، ليرتب مساحة تستقر عليها الليبرالية في التفكير الإسلامي ويؤسس إما لدين علماني، أو لتفكير علماني للدين)[1].

إن مصطلح (النقد الثقافي) هو من اطروحات (فنسنت ليتش) التي سرقها عبد الكريم سروش وتبجح بها من دون إشارة لصاحبها لا من قريب ولا من بعيد، فنجد ـ على سبيل المثال ـ ان ميجان الرويلي وسعد البازعي يؤرخان لمصطلح (النقد الثقافي) ويذكران رواده، ومنهم كذلك المفكر الألماني (تيودور أدورنو) في مقال له نشره عام (١٩٤٩م) حينما شن هجوماً على الثقافة الأوربية حينها[2].

يمكن لنا ـ تتبعياً ـ اكتشاف الكثير من الانتحالات والسرقات في كتابات عبد الكريم سروش كـ(المجتمع المدني)، و(الليبرالية)، و(نظرية الحق الطبيعي)، و(الطبيعة البشرية)، والتجريبية)، والحتمية التاريخية).

إن جون لوك (١٦٣٢ ـ ١٧١٤م) هو صاحب نظرية (تحليل الطبيعة البشرية)، ويعتبر من أشهر المفكرين الذين نظروا لنظرية (الحق الطبيعي)، مضافاً إلى ما أخذه عبد الكريم سروش من أفكار باروخ سبينوزا (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧م)، ومن توماس هوبز (١٥٨٨ ـ ١٦٧٩م)، ومن رينيه ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠م)، وغيرهم.

---

(1) قراءات في الفكر الإسلامي المعاصر، عبد الأمير زاهد، ص١٢١.
(2) ظ: دليل الناقد الأدبي، الرويلي والبازعي، ص٣٠٦.

كما واننا نجد عبد الكريم سروش يسرق مصطلح (الحتمية التاريخية)(1)، والذي أخذه من أفكار كارل ماركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣م)، وكذلك المادية التاريخية، والطرح (التاريخاني)(2).

إن عبد الكريم سروش وفي جميع طروحاته التي يتبجح بها قد حاول صناعة بديهيات مغشوشة لكي يتسنمها نحو مبتغاه من دون الإشارة للآراء المخالفة لها أو الناقدة أو المغايرة. (وهكذا جاءت نظرية الحق الطبيعي، المرتكز على تحليل الطبيعة الإنسانية في الفكر الليبرالي كمعارض لنظرية الحق الإلهي والتكاليف الإلهية ودائرة حق الطاعة للمولى تبارك وتعالى، التي تعتقد بالثوابت الفطرية والابعاد الأخلاقية عند الإنسان، وان الإنسان مطالب بالارتقاء والتكامل والمطابقة مع هذه الثوابت، وان المعرفة هي طلب الحقيقة والمطابقة معها وليس الحقيقة هي في المنفعة واللذة وتجنب الآلام)(3).

أما الحتمية التاريخية فقوله بها قد (تضمن حتمية مبالغ فيها، ولا تصح بهذه الصرامة، قالها الرجل لغاية في نفسه ليستخدمها سيفاً مسلطاً وقانوناً دامغاً لنزع الصفة الإلهية عن دين الإسلام، وصلاحيته لكل زمان ومكان)(4).

لقد وصف عبد الكريم سروش الوحي القرآني بأنه (منتج وحياني من النبي)(5)، في تجني واضح على شخص النبي الأكرم (ص)، وفي دلالة واضحة على ان عبد الكريم سروش أما لم يقرأ القرآن الكريم، أو لا يفهمه ولا يعرف ما جاء به، ذلك ان القرآن الكريم فيه (جرس ألفاظ) يحتاج إلى أذن (عربية خالصة) لكي تحدد وتميز كلماته التي تشابه باقي الكلمات بالأحرف وتختلف عنها بوقعها وبلاغتها وتذوقها وجرسها لفظاً وسمعاً.

---

(1) بسط التجربة النبوية، عبد الكريم سروش، ص١٨١ ـ ١٨٢.
(2) بسط التجربة النبوية، ص١٢٠.
(3) مباني الدين التجريبي، غالب الناصر، ص١٥٧.
(4) نقض كتاب بسط التجربة النبوية، خالد كبير علال، ص٥.
(5) بسط التجربة النبوية، عبد الكريم سروش، ص٩٥ ـ ٩٦.

إن هناك الكثير من آيات القرآن الكريم قد أكدت ان النبي الأكرم (ص) عبد لله تعالى، وان القرآن من عند الله وحياً وكلاماً ونزولاً.

١ـ قال تعالى: ((وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ❖ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ❖ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)) سورة الشعراء، الآيات (١٩٢) ـ (١٩٥).

٢ـ قال تعالى: ((إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ❖ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ❖ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ❖ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ❖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ❖ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ❖ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ❖ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ❖ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ❖ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ❖ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ❖ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)) سورة الحاقة، الآيات (٤٠) ـ (٥٢).

٣ـ قال تعالى: ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)) سورة يوسف، الآية (٣).

والعشرات من الآيات القرآنية التي أكدت على ان القرآن الكريم وحيٌ من عند الله تعالى، أنزله على النبي محمد (ص)، ولم يأت به النبي محمد (ص) من عند نفسه أبداً، ولم يأخذه من بشر عادي، ولا من ديانة سابقة، ولا من كتاب سابق، وليس هو عبقرية أو حالة نشوة مطلقاً.

إن دعوى عبد الكريم سروش ليست جديدة حول الوحي، فعلى سبيل المثال قد أجاب عن مثلها الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٩٤٨م)، بقوله: (وقد أسفّ بعض الناس فزعم أن جبرائيل كان ينزل على النبي " ص " بمعاني القرآن ، و الرسول يعبر عنها بلغة العرب. و زعم آخرون أن اللفظ لجبرائيل ،

و أن الله كان يوحي إليه المعنى فقط . و كلاهما قول باطل أثيم ، مصادم لصريح الكتاب ، و السنة ، و الإجماع ، و لا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به)[1] .

إن عبد الكريم سروش يعيد اشكالات (اليهود)، و(المشركين)، و(الملحدين)، و(المستشرقين)، ومن شاكلهم من جديد، بل هو يردد كالببغاء متماهياً مقولات الآخرين. لنجد بعد ذلك سفسطة واضحة منه حين يقول: (عندما نقول إن هذه الأمور ترتبط بشخصية النبي فليس معنى ذلك ان النبي هو مخترع هذا الكلام، بل معناه ان هذا الكلام يرتبط بقدرته ورصيده المعنوي والمعرفي)([2]).

انها بحق سفسطة ما بعدها سفسطة، وخليط متداخل، وتشويش كبير على عقول الأخرين، فمن جانب يقول ان الوحي (يرتبط بشخصية النبي)، ومن جانب آخر يقول (ليس معنى ذلك ان النبي هو مخترع هذا الكلام)، ليضيف ثالثاً قوله (ان هذا الكلام يرتبط بقدرة النبي ورصيده المعنوي والمعرفي)، فهل هناك سفسطة أكبر وأكثر من هذه التي بنيت على تعمد في تشويه شخصية النبي الأكرم (ص) من خلال اختراع (بديهيات) لا أصل لها، يريد مصادرتها على الآخرين وتصويرها على أنها بديهيات.

ثم نقرأ قوله: (ولكن بما أننا نعتقد ....)([3])، وقوله: (فإنني أعتقد أن النبي هو المشرع للأحكام الفقهية...)([4])، فمتى كان اعتقاد عبد الكريم سروش حجة؟ ومن هو ليعتقد أو لا يعتقد؟ ثم من هو ليفرض اعتقاده على الآخرين؟ وهل بالاعتقادات الشخصية الفردية للناس العاديين تقرر الحقائق؟!

إما (تاريخانية) عبد الكريم سروش فهي واضحة المعالم في قوله: (الهاجس الأساس في أمر التقنين هو ان هذه الأحكام والقوانين لا بدّ ان تكون عادلة في

([1]) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني ، ج ١ ، ص ٤٩ .
([2]) بسط التجربة النبوية، عبد الكريم سروش، ص١٣٧.
([3]) بسط التجربة النبوية، ص١٣٨.
([4]) بسط التجربة النبوية، ص١٢٠.

أجواء زمانه وتبتعد عن الظلم غي عرف ذلك الوقت لا أنها تمثل العدالة المطلقة وفوق التاريخية. بمعنى ان النبي عمل على إصدار قوانين وتشريعات كانت تقترن بالعدل في مفهوم تلك الأجواء وتلك الأذهان وبعيلة عن طبيعة الظلم والجور في ذلك الزمان)([1]).

إن هذا ليس بالمدعى الجديد، فهو يتكرر في كل زمان، ومكان، وأساسه مبني على (عدم صلاحية القرآن لكل زمان)، فإن القول بـ(تاريخانية القرآن)، ووقتية أحكام القرآن، وعدم صلاحيته لكل زمان من الدعوات التي تتكرر كل يوم، حتى جاء أدعياء الفكر المادي بلباس جديد لهذه الشبهة هو (التاريخانية).

إن هذه الدعوى الموجهة للقرآن الكريم ليست جديدة، فلقد سبق وأن تبناها فلاسفة ما يسمى بعصر التنوير الغربي، وقادة الفكر العلماني في نقدهم للتوراة والإنجيل، فاستوردها بعض المستشرقين، ثم أخذها منهم بعض اللاهثين وراءهم ليطبقوها على القرآن الكريم، وذلك لإثارة الشبهات حوله، والهدف من وراء ذلك ـ كله ـ هو عـدم الأخذ به بحجة انتهاء صلاحيته!

(إن محاولات اختزال ظاهرة الوحي إلى نوبات هستيرية أو ممارسات شعوذة أو إفادات من التراث الديني هي محاولات تنطلق على أساس رؤية مادية للوجود... إن أية مواقف تريد ان تحترم الحقيقة لا بدّ لها أن تتأسس على معطيات علمية دقيقة وموثوق بها. إن ظاهرة الوحي تفلت من دائرة المحسوس، ولا يمكن إخضاعها اليوم لأية اختبارات تجريبية علمية... وفي الاتجاه نفسه يحاول البعض الالتفاف على حقيقة الوحي من اجل القول ان الوحي الذي يتحدث عنه القرآن ليس إلا وحياً داخلياً وذاتياً، ونوعاً من حديث النفس كان يمارسه النبي)([2]).

([1]) بسط التجربة النبوية، ص١٢٠.
([2]) تكوين النص القرآني، قاسم شعيب، ص٤٥.

إن سروش وبخصوص (الوحي) يتبنى نظرية (وحلة الوجود العينية) التي تقول: ان الله والعالم شيء واحد، وهذا على طريقة (جلال الدين الرومي) الذي كان يقول: ان اتحاد النبي بالله مثل صب مياه المحيط في الدورق[1]، الذي يعتبر من مصادر أفكار سروش المهمة، وكذلك ما استشهد به سروش من قول لـ(مولوي)، وهو كون القرآن مرآة ذهن النبي[2]، في نحو تجاه الصوفية الطاغي على جملة من أفكار سروش.

إن مقولة ان القرآن الكرم مجرد تجلٍ في شخصية النبي (ص)، فهو مجرد تكرار لمقولة (الوحي النفسي)، التي كان يتبناها المستشرقون من أمثال (نولدكه)، و(درمنغام)[3].

(إن الإيمان بوحدة الوجود على طريقة سبينوزا، واعتبار الذات الإلهية حالة في جميع جزئيات هذا الكون بما في ذلك الإنسان، لا يمكن إلا ان تؤدي إلى هذه النتيجة. ولذلك نجد سروش يستشهد ببعض المقولات المنسوبة إلى بعض العرفانيين والمتصوفة من أجل تبرير موقفه والدفاع عن نفسه ضد هجمات بعض رجال الدين)[4].

([1]) ظ: تكوين النص القرآني، قاسم شعيب، ص٥٠.
([2]) ظ: تكوين النص القرآني، قاسم شعيب، ص٥١.
([3]) ظ: تكوين النص القرآني، قاسم شعيب، ص٥٢.
([4]) تكوين النص القرآني، قاسم شعيب، ص٥٣.

المـــذهب التجـــريبي حقيقة وماهية

إن المذهب التجريبي هو الاتجاه الذي يؤمن بأن التجربة ، و الخبرة الحسية هي الأساس العام ، و المصدر الرئيسي لكل ألوان المعرفة التي يزخر بها الفكر البشري ، و ينكر هذا المذهب وجود أي معرفة قبلية لدى الإنسان بصورة مستقلة عن الحس و التجربة .

و المذهب التجريبي يعتمد على الطريقة الاستقرائية ، و يرفض مبدأ الاستدلال القياسي الذي يسير فيه الفكر من العام إلى الخاص، و من رواد هذا المذهب :

١ـ (روجر بيكون)[١] الذي كان شديد الاهتمام بالمنهج التجريبي ، و له تأملات في خطواته ، و مبادئه الأولى .

٢ـ (فرنسيس بيكون)[٢] و الذي يعتبر أول من حاول إقامة منهج علمي جديد يرتكز إلى الفهم المادي للطبيعة ، و ظواهرها ، و يعتبر (فرنسيس بيكون) مؤسس المادية الجديدة ، و العلم التجريبي ، و واضع أسس الاستقراء العلمي ، و الغرض من التعلم بحسب نظره هو زيادة سيطرة الإنسان على الطبيعة ، و دعا أيضاً إلى النزعة الشكية فيما يتعلق بكل علم سابق ، بحيث يجب أن تكون هذه النزعة الخطوة الأولى نحو الإصلاح و تطهير العقل من المفاهيم المسبقة و الأوهام التي تهدد العقل البشري بحسب مدعاه .

٣ـ (جون لوك)[٣] الذي أعتبر نفس الإنسان كورقة بيضاء خالية من كل معنى ذهني ، و أما الصورة التي ترسم عليها فيما بعد فهي ثمرة التجربة .

٤ـ (ديفيد هيوم)[٤] و الذي أنكر مبدأ العلية و إنها لا يمكن أن تدرك بالحس .

---

(١) روجر بيكون : (١٢١٣ ـ ١٢٩٤ م) .
(٢) فرنسيس بيكون : (١٥٦١ ـ ١٦٢٦ م) .
(٣) جون لوك : (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤ م) .
(٤) ديفيد هيوم : (١٧١١ ـ ١٧٧٦ م) .

٥ـ (جون ستيوارت مل)[١] و الذي وضع منهجاً للتحقق من صحة الفروض اعتماداً على نظريات (فرنسيس بيكون) .

إن لهذا المذهب خطوات أساسية وضعها مخترعوه و مؤيدوه ، و التي منها : (الملاحظة) ، و (الفروض) ، و (التجريب أو التحقيق أو تحقيق الفروض)، و من أشد و أكبر عيوب هذا المذهب كون أكثر أو أغلب التجارب مصطنعة لا تعكس شيء من الحقيقة ، و لا تمت للواقع بأي صلة[٢].

لقد تبنى عبد الكريم سروش فكر (جون لوك ومنهجه التجريبي الحسي، وتحديله للطبيعة الإنسانية العارية من أية مرجعيات فطرية أو المسبقة في أصل الخلقة، وإلغاء كل المرجعيات المتجاوزة لهذا العالم؛ أي المرجعية الإلهية والوحي، ونسبة القرآن إلى حدس الرسول "ص" ومعرفته الداخلية، ثم اتخاذه من أفكار السيد الطباطبائي في اعتبارية الحسن والقبح، وان الأفعال ليس وراءها واقع قابل للنقص والكمال وبالتالي المدح والذم، من مجموع هذه الأفكار انطلق عبد الكريم سروش يتطلع إلى الدين الطبيعي فكر الحداثة وسيادة العقل الاداتي الغربي، في مجالات الأخلاق والقانون وتحديد الحقيقة في مجال المعرفة بأنها صناعة ليس إلا)[٣].

إن السيد الشهيد محمد باقر الصدر يبين حقيقة هذا المذهب بقوله : (أن المذهب التجريبي يؤدي حتماً إلى إسقاط مبدأ العلية ، و العجز عن إثبات علاقات ضرورية بين الأشياء ، و إذا سقط مبدأ العلية انهارت جميع العلوم الطبيعية ، باعتبار ارتكازها عليه)[٤] .

---

(١) جون ستيوارت مل : (١٨٠٦ ـ ١٨٧٣ م) .
(٢) الأدوات المعرفية، ليث العتابي، ص ٥٩ .
(٣) مباني الدين التجريبي والتعددية الدينية، غالب الناصر، ص ٢٠٣ـ ٢٠٤.
(٤) فلسفتنا ، السيد الشهيد محمد باقر الصدر ، ص ٩٧ .

كما و يضيف قائلاً : (... نؤكد على أننا لا ننكر على التجربة فضلها العظيم على الإنسانية ، و مدى خدمتها في ميادين العلم ، و إنما نريد أن يفهم هؤلاء التجريبيون : أن التجربة ليست هي المقياس الأول ، و المنبع الأساسي للأفكار و المعارف الإنسانية ، بل المقياس الأول و المنبع الأساسي هو : المعلومات الأولية العقلية التي نكتسب على ضوئها جميع المعلومات و الحقائق الأخرى ، حتى أن التجربة بذاتها محتاجة إلى ذلك المقياس العقلي ، فنحن و الآخرون على حد سواء في ضرورة الاعتراف بذلك المقياس الذي ترتكز عليه أسس فلسفتنا الإلهية ، و إذا حاول التجريبيون بعد ذلك أن ينكروا ذلك المقياس ليبطلوا علينا فلسفتنا ، فهم ينسفون بذلك الأسس التي تقوم عليها العلوم الطبيعية ، و لا تثمر بدونها التجارب الحسية شيئاً)[1] .

فلا إشكال بالتجربة من حيث كونها تعطي علماً مهماً هو علم (التجريبيات) ، أما أن نجعل (التجربة) مذهباً يجب إتباعه ، و أن نقدم التجربة على غيرها[2] ، و أن نجعلها مصدراً رئيسياً من مصادر المعرفة ، فهذا هو الإشكال الحقيقي ، بل هو خطأ كبير لا بدّ من التنبه له .

([1]) فلسفتنا ، السيد محمد باقر الصدر ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

([2]) و بالخصوص العقل .

الحسيون وأصحاب المذهب التجريبي

إن هذا الاتجاه يعد الخصم المألوف للاتجاه العقلي في مصدر المعرفة ، و هو الذي يصرح أتباعه بأن المصدر لكل معرفة هو (الحس) ، أو (التجربة) .

فالنظرية الحسية هي النظرية القائلة : (إن الإحساس هو الممون الوحيد للذهن البشري بالتصورات و المعاني ، و القوة الذهنية هي القوة العاكسة للإحساسات المختلفة في الذهن ... و أما المعاني التي لا يمتد إليها الحس فلا يمكن للنفس ابتداعها و ابتكارها ذاتياً و بصورة مستقلة . و ليس للذهن بناءً على هذه النظرية إلا التصرف في صور المعاني المحسوسة ، و ذلك بالتركيب و التجزئة ...)[1] .

في مقدمة فلاسفة هذا الاتجاه : (جون لوك)[2] ، و (ديفيد هيوم)[3] فهم يعتبرون الحس ، أو التجربة[4] الطريق الوحيد للمعرفة ، و حاولوا إرجاع جميع التصورات ، و الأفكار إلى الحس ، منكرين أهمية المصادر الأخرى كـ(العقل) و بنوا وفـــق ذلك مذهبهم (التجريبي) .

يقول (جون لوك): (لنفترض إذن أن الذهن على حد قولنا صفحة بيضاء خالية من جميع الحروف، ومن دون أية أفكار، فكيف يحدث أن يملأ؟ ومتى ينال بذلك المستودع الواسع الذي تطبعه فيه مخيلة الإنسان المشغولة التي لا حد لها بتنوع يكاد إلا تكون له نهاية؟ على هذا أجيب بكلمة واحدة من "التجربـة" من ذلك تتأسس جميع معارفنا، ومن ذلك تستمد ذاتها نهائياً)[5].

---

(1) فلسفتنا ، السيد محمد باقر الصدر ، ص ٧٥ .

(2) المشهور ان مؤسس المذهب الحسي هو (جون لوك) لكن الحقيقة انها نظرية قديمة و يعد أبيقور (٣٤٢ - ٢٧٠ ق م) من أوائل المعتقدين بها .

(3) ديفيد هيوم : (١٧١١ - ١٧٦١ م) .

(4) التجربة الحسية .

(5) تاريخ الفلسفة الغربية ، برتراند رسل ، ج ٣ ، ص ١٧٨ .

يقول الشيخ مرتضى المطهري([1]) منتقداً دعاة المذهب الحسي : (إن هؤلاء الذين ظهروا في القرن السابع عشر أنكروا قيمة البرهان القياسي العقلي ، و اعتبروا اسلوب التجربة الأسلوب الوحيد و السليم و المعتمد عليه في هذا المجال ، و تعتقد هذه المجموعة بعدم أصالة و تجذر الفلسفة النظرية العقلية المستقلة عن العلوم التجريبية ، و يعدون العلم ثمرة الحواس فقط ، و الحواس لا تتعلق إلا بظاهر و عوارض الطبيعة ، إذن لا اعتبار للمسائل الفلسفية الأولية ، و ذلك لأنها نظرية و عقلية بحتة و تتعلق بالأمور غير المحسوسة ، و لا يدرك الإنسان هذه المسائل نفياً أو إثباتاً)([2]) .

كما و يقول السيد الشهيد محمد باقر الصدر([3]): (و يمكننا أن نوضح فشل النظرية الحسية في محاولة إرجاع جميع مفاهيم التصور البشري إلى الحس ، على ضوء دراسة عدة من مفاهيم الذهن البشري كالمفاهيم التالية : العلة و المعلول ، الجوهر و العرض ، الإمكان و الوجوب ، الوحدة و الكثرة ، الوجود و العدم ، و ما إلى ذلك من مفاهيم و تصورات)([4]) .

يؤكد كل ذلك الأمام الصادق (عليه السلام) في كلامه مع أبي شاكر([5]) إذ يقول : (ذكرتَ الحواس الخمس و هي لا تنفع شيئاً بغير دليل ، كما لا يقطع الظلمةُ بغير مصباح)([6]) .

([1]) الشيخ الشهيد مرتضى مطهري (١٩٢٠ ـ ١٩٧٩ م) (١٣٣٨ ـ ١٤٠٠ هـ) .
([2]) اصول الفلسفة و المنهج الواقعي ، الشيخ مرتضى المطهري ، ج ١ ، ص ٦ .
([3]) السيد الشهيد محمد باقر الصدر : (١٩٣٥ ـ ١٩٨٠ م) .
([4]) فلسفتنا ، السيد محمد باقر الصدر ، ص ٧٨ .
([5]) و هو أحد دعاة المادية في ذلك الزمان .
([6]) ميزان الحكمة ، الحديث ١١٨٨٦ ، توحيد الصدوق : ص ٢٩٣ .

التعددية

إن مصطلح (البلوراليسم) ليس فيه إي إبهام من الناحية اللغوية، فـ(بلورال) يعني: الجمع أو الكثرة أو الكثير، و(البلوراليسم) يعني: القبول بالتعدد والكثرة([1]).

لقد تبنى (القراء النسبيون) نظرية (تعدد القراءات)، واختلاف الأفهام، ونسبيتها، ذلك ان منشأ (النسبية) المدعاة عندهم هو؛ تبنيهم نظرية أو أطروحة تأثير أفق (المفسِّر) وموقعية تفسيره وقراءته في تحصيل (المعنى)، كما وان (الأثر) و(النص) لا يكون ذا معنى واحداً، بل أنه مبتلى بـ(تكثر المعاني)، ولهذا كان تفسير هذا (الأثر) بلا حدود!

وعن هذه التعددية يقول عبد الكريم سروش: (أي الاعتراف بالتكثر والتنوع، والحكم بالتباين غير القابل للنقص، وبعدم قابلية الثقافات والأديان واللغات والتجارب البشرية للمقايسة، ورؤية البشرية حديقة مليئة بالألوان والعطور ... فلدينا تدين تعددي، ومعرفة دينية تعددية، كما نملك مجتمعاً تعددياً أيضاً)([2]).

إن التعددية: أو (البلوراليسم): هي مدرسة منطقية، تعتمد على منهج الإدراك (تعدد الإدراك) وكيفية استقاء المعلومات والمناهج المنطقية القديمة والحديثة والغربية والشرقية والمادية وغير المادية. جميعها تهتم بكيفية الإدراك ونظم المعلومات والاستنتاج من تلك المعلومات، فالإنسان غير قادر على إدراك الحقيقة بمفرده، والحقيقة موجودة و موزعة عند كل فرد من أفراد النوع البشري، فلا يحق للفرد الذي يملك جزء الحقيقة إن يخطئ فرد أخر فضلا عن باقي الأفراد فهو لا يملك إلا جزء بسيط من الحقيقة، فكل رأي داخل في دائرة الاحتمال وليس

([1]) ظ: قراءة في تعدد القراءات، علي أحمد الكربابادي، ص٢١.
([2]) الطرق المستقيمة، عبد الكريم سروش، مجلة نصوص معاصرة، العدد ٥، ص١٣٦.

هنالك ما هو خطاء. فكل الأديان لديهم حق، وكل واحد منها لا يملك كل الحقيقة، بل لا أحد يملك الحقيقة الكاملة وأن كان نبياً. وفي السياسة: فهي تمنع سيطرة الحزب الواحد ، و منع اعتناق الدولة لدين واحد([1]).

([1]) الأدوات المعرفية، ليث العتابي، ص ٢٧٣ .

الهرمينوطيقا التأويلية

إن علم التأويل أو التفسيرية أو الهرمينوطيقا هي مدرسة فلسفية تشير إلى تطور دراسة نظريات تفسير وفن دراسة وفهم النصوص في فقه اللغة واللاهوت و النقد الأدبي.

يستخدم مصطلح (هرمنيوطيقا) في الدراسات الدينية للدلالة على دراسة وتفسير النصوص الدينية.

و في هذا المجال هناك تأثر كبير بأفكار رواد هذه النظرية من أمثال: شلايرماخر، ودلتاي، وهايدجر، وغادامير، وبول ريكور، ومن شاكلهم.

يقال وفق نهج نقدي تهكمي بعيد عن العلمية بالطرح: إن الوضع (الجامد) الذي ظلت عليه علوم القرآن هو الذي جعل النص يواجه تحدي (الهرمينوطيقا) ومحاكمات الفكر (التاريخاني)([1]).

إن من المفترض ملاحظة السياق الذي تولد في احضانه التفكير (الهرمنيوطيقي) على صعيد (قراءة النص الديني) و الذي جاء عقب مخاضات في قراءة (نص الكتاب المقدس) بدأت من تحليل (التوراة) مع (باروخ سبينوزا) مروراً بـ(شلايرماخر) وصولاً إلى (غادامير) ، هذا السياق الذي يحاول ان يتعامل مع (الكتاب المقدس) على انه مجرد (نص بشري) .

نعم، نحن نقف إلى جانب (التأويل) النابع من آليات القرآن الكريم أو من آليات النص الصحيح الشارح له النابع من فكر مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) . و لن نقف إلى جانب (تأويلات) الهرمينوطيقا الغربية المبنية على أساس الانقلاب الناقد لكل النصوص الدينية إثر صدمة الكنيسة([2]) .

([1]) ظ: جدلية الأيديولوجي والمعرفي، ليث العتابي، ص ٤٣.
([2]) ظ: جدلية الأيديولوجي والمعرفي، ليث العتابي، ص ٤٥.

يتعامل الخطاب العلماني الذي يتبناه أمثال (عبد الكريم سروش) مع النص القرآني بوصفه (نصاً تاريخياً) ، و بالتالي يعني : إخضاع (النص القرآني) للقراءة النقدية عن طريق النقد التاريخي المقارن ، و التحليل الألسني التفكيكي ، و نحوها من مناهج العلوم الإنسانية و الاجتماعية، و في سبيل تحقيق الغايات المنشودة ، يدعو الخطاب العلماني إلى التوسل بالدراسة التفكيكية للنصوص المقدسة ، و إلى قراءتها على انها نصوص تاريخية منفصلة عن مصدرها ، أو ما يسمى في البنيوية بـ(موت المؤلف) . كما يتبنى هذا الخطاب في دراسته للقرآن الكريم (الهرمينوطيقا) التي تقوم في الدراسات الأدبية على التفرقة بين (المعنى) و (المغزى) ، حيث ان المغزى قد يختلف لكن معناه ثابت ، و المغزى يقوم على العلاقة بين النص و الواقع ، و الواقع متجدد و متغير(١) .

ان التفريق بين (معنى) و (مغزى) النصوص : أي المعنى الذي يمثل الدلالة التاريخية للنصوص في سياق تكونها ، و المغزى الذي هو محصلة قراءة عصر غير عصر النزول(٢) .

---

(١) ظ: جدلية الأيديولوجي والمعرفي، ليث العتابي، ص ٤٦.

(٢) ظ: جدلية الأيديولوجي والمعرفي، ليث العتابي، ص ٤٧.

التفكيكية

إن التفكيكية منهج ادبي نقدي فلسفي معاصر تعمل على تدمير الخطاب المهيمن الذي يخص المدلول المفارق المعني الذي تم الاعتراف به باعتباره مطلق ، و ثابت ، و أزلي ، و شفاف ، و سابق على النظام ، و الذي تخضع له كل المدلولات الأخرى ، فخطاب التفكيك يحاول ان يلغي أي مركزية و أي ميزة يمكن ان تنشأ عن وجود هذه المركزية .

انطلقت التفكيكية من التشكيك في العلم ثم تحولت إلى التشكيك في كل شيء. ان شك التفكيكية في اللغة نتج عنها شك في كل قراءة أو تأويل للنصوص ، و هكذا فتحت التفكيكية الباب على مصراعيه لتعدد القراءات .

ان تعسف التفكيك في الاحتكام إلى اللغة و اقصائها الملابسات الخارجية جميعها. فإلغاء المؤلف و الحكم عليه بالموت، وبهذا يصبح المؤلف ناسخاً فقط لنصوص أدبية و تجاهل لمواهب الأدباء و فرديتهم و تميزهم[1] .

يعد (جاك دريدا)[2] مؤسس التفكيكية فقد طرح آراءه في ثلاثة كتب نشرت في سنة (١٩٦٧ م) وهي: (حول علم القواعد) و(الكتابة و الاختلاف) و(الكلام و الظواهر)، والمفهوم العام لهذه الكتب يدور على نفي التمركز حول الميتافيزيقيا المتمثل في الثقافة الغربية الوسيطة. واستند (دريدا) في هذا المنهج إلى قطيعة سبق ان اعلنها (نيتشه) تجاه الميتافيزيقيا، وتتجلى التفكيكية في انها تقوض مفهوم الحقيقة بمعناه الميتافيزيقي، كما تقوض الواقع بمعناه الوضعي التجريبي ، و تحول سؤال الفكر إلى مجالات اللغة و التأويل.

---

(1) مناهج النقد الأدبي الحديث ، قصاب وليد ، ص ٢١١ .

(2) جاك دريدا (١٩٣٠ ـ ٢٠٠٤ م) فيلسوف فرنسي .

لقد تكلم عبد الكريم سروش عن منزلة النص القرآني بوصفه (اسطورة) وهو التعبير المستعار من بيير بورديو، ومن آراء رولان بارت و ميرسيا إيلياد، ومحمد اركون، ومحمد أحمد خلف الله، وأمين الخولي.

و في مجال تاريخ علم الأديان يبني آراءه على كتابات (ميشال مسلان) حاله في ذلك كحال (محمد اركون)، ولربما كان يسرق من سرقات (محمد اركون) لمن سبقه؟!

التاريخانية

إن التاريخانية أو التاريخية من المصطلحات التي ترمز إلى وجود رأيين متعارضين فيما يرتبط بطبيعة الأبحاث التاريخية و الاجتماعية ، إذ يذهب الرأي الأول إلى ان من واجب المؤرخين تفسير كل مرحلة تبعاً لما يسودها من قيم ، و افتراضات ، و اهتمامات ، و ان الحكم عليها من منظار الحديث يشوّه الظواهر التاريخية ، فيما يذهب الرأي الآخر إلى ضرورة فهم التغيّر التاريخي وفقاً للقوانين الشاملة للتطور التاريخي[1].

إن أساس فكرة (تاريخية النص) في الأصل؛ هي لضرب قدسية الكتاب ، و لدحض فكرة عصمة النص ، بدعوى تكثير المعنى مع نسبيته ، من اجل دحض البعد الوحياني للنص.

يتعامل الخطاب العلماني مع النص القرآني بوصفه (نصاً تاريخياً) ، و بالتالي يعني : إخضاع (النص القرآني) للقراءة النقدية عن طريق النقد التاريخي المقارن ، و التحليل الألسني التفكيكي ، و نحوها من مناهج العلوم الإنسانية و الاجتماعية .

وفي سبيل تحقيق الغايات المنشودة، يدعو الخطاب العلماني إلى التوسل بالدراسة التفكيكية للنصوص المقدسة، وإلى قراءتها على انها نصوص تاريخية منفصلة عن مصدرها ، أو ما يسمى في البنيوية بـ(موت المؤلف) .

إن هذا التفريق (المزعوم) يقتضي الحكم على كتاب الله تعالى باعتباره (نصوصاً) تاريخية . و يوضح ذلك ، ان مصطلح (تاريخية النصوص المقدسة) متأثر إلى حد كبير بإسقاط (النظرية النسبية) في الدراسات الأدبية و التاريخية المعاصرة على النص القرآني .

---

(1) معجم الأفكار و الأعلام ، هتشنسون ، ص ١٠٨ .

فالتاريخية أو (التاريخانية) هنا ؛ إخضاع النص القرآني للقراءة كنص بشري ، أو كنص إلهي محكوم بسقف التاريخ و الثقافة . إذ تدعو التاريخية إلى تفريغ جعبة النص الديني من مفاهيم العالمية والاطلاقية ونزع صفة الخلود والصلاحية لكل زمان ومكان عنه، وذلك بغية الالتفاف على حقيقة كونية القرآن من خلال احالته إلى التاريخ والنظر اليه باعتباره نصا تاريخيا محكوم بشروط تاريخية و ظرفية يزول بزوالها ، و تعمل على ربط القرآن بسياقات تنزله ، و تفسير معانيه تفسيراً تداولياً قاصراً من خلال الخوض في مسألة أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و المكي و المدني و غيرها من القضايا ، فالغاية من (أرخنة) الخطاب القرآني بحسب تعبير من تبنى ذلك؛ هي العودة بالقرآن بشكل علمي إلى قاعدته البيئوية و العرقية ـ اللغوية و الاجتماعية و السياسية ـ الخاصة بحياة القبائل في مكة و المدينة في بداية القرن السابع الميلادي ، و هذا الجهد يجد مشروعيته في ان؛ القرآن الكريم خطاب تاريخي يتغير فهمه و معناه مع تغير الزمان و المكان ، و بناء على ذلك فما جاء فيه من عقائد و شرائع تتغير و تتبدل مع تبدل الزمان و المكان ، و هذا التبدل لا يقصد منه المرونة في الاجتهاد الفقهي المواكب لمتغيرات الواقع عبر الزمان و المكان بمقدار ما يعني به عدم صلاحية الحكم الشرعي لكل زمان و مكان ، فهو وقتي ، بمعنى أنه جاء لوقت قد مضى ، ولم يعد يتلائم مع الوضع الحالي ، و بالتالي يجب أن تتغير تفسيراته بما يناسب الوضع المستجد. وهذه القراءة سوف تساهم في تعرية النص القرآني من القداسة تماماً كما حصل بشأن التوراة و الإنجيل.

إن تصفح مفهوم (تاريخية النص) في الفكر الغربي ، و الذي يرجع تحديداً إلى ظهور الماركسية الجدلية من جهة ، و ظهور مفاهيم علم اجتماع المعرفة من جهة

ثانية ، يقود إلى ان الوجود الاجتماعي للناس هو الذي يحدد وعيهم أو علاقة الفكر بالواقع .

وإلى نفس دعوى سروش يذهب الكاتب الأمريكي كارل إيرنست (ارنست) بقوله: (وتحتوي الأحاديث على روايات أكثر توسعاً عن مواقف كانت سبباً في نزول آيات محددة ، حيث لا يعرف بشكل واضح إلى أي مدى يستشهد بهذه الآيات في مواقف لاحقة)[1] .

وهنا لا بدّ من فهم حقيقة النظام التشريعي الذي جاء لتقنين حياة الإنسان و مسيرته، و جاء لتنظيم علاقاته مع خالقه، ومع الآخرين، و مع كل ما حوله، و هذا التقنين والتشريع في بعض الأحيان ـ أن لم يكن الأكثر ـ يعتبره الإنسان تقييداً له وحداً لحريته، إلا أنه لو فهم أنه يضمن له حقوقه و إنسانيته و يكسبه مزيداً من الاحترام و الاستقلالية التي قننت ضمن قواعد و قوانين هدفها خدمته و ضمان كرامته، (فتشريع النظام و تنظيم الشريعة ضروري في حياة الإنسان، ولحياة الإنسان الذي يريد أن يحيا حياة إنسانية بمعناها الحسن الجميل. ثم ـ يا ترى ـ أترى الإنسان ـ و الحال فيه هو ذلك الحال ـ يرضخ لتلك الشريعة الموقفة له عند حدود، ويخضع لذلك النظام المحدّد لتلك الحرية المطلقة فيه المؤيدة بالعواطف والأهواء؟ لا. اللهم إلا أن يفهم فيفهم حاجته الماسة إلى ذلك النظام ، وأن مشروع ذلك النظام ممن له أهلية ذلك التشريع فهو مشرع بحق و منظم باستحقاق ، ثم هي الأخرى أن يفهم فيفهم أن ذلك النظام و ذلك التشريع نظام بعدل و اعتدال يرمي إلى العدل والاعتدال لا سرف فيه ولا تطفيف. إذن فاتّساق التشريع أو النظام واستوساقه بحاجة إلى أن يركز على دعائم ثلاث:

([1]) على نهج محمد ، كارل إيرنست ، ص ١٨٧ .

احدها: قناعة المكلف قناعة نفسية بحاجة إلى تنظيم شرع و تشريع نظام و إلا دفعت به الحرية المطلقة إلى الهوة السحيقة و المهوى العميق .

ثانيها: الإيمان بأهلية المشروع لذلك التشريع، و الاعتقاد بأحقيته في وضع ذلك النظام و إلا لم يرضخ الرضوخ المطلوب، و لم يستجب لذلك النظام، ولم يتمسك بذلك التشريع.

ثالثها: اعتقاد المكلف بعدل النظام واعتداله وأنه لا سرف فيه ولا تطفيف)[1].

إن القرآن الكريم وفي عرضه للنماذج ـ و بالخصوص في موارد التشريع ـ يحاكي ما هو قابل للانطباق في كل زمان ومكان، لان القرآن الكريم يجري كالشمس والقمر، فهو للبشرية كافة لا يحده زمان أو مكان.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): ((ولو أن الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك القوم ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السموات والأرض، ولكل آية يتلونها هم منها من خير أو شر))[2].

وقال ابو عبد الله (عليه السلام): ((إن القرآن حي لم يمت، وانه يجري كما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا))[3].

---

(1) القرآن و العقيدة أو آيات العقائد ، مسلم حمود الحسيني الحلي ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .
(2) تفسير العياشي ، ج١ ، ص ٢١ .
(3) تفسير العياشي ، ج٢ ، ص ٢١٩ .

أسس أفكار سروش ومنابع دعواته

إن عبد الكريم سروش حاله كحال غيره من (المنتحلين) قد أخذ أفكاره من هنا وهناك، ولم يشر إلى ذلك مطلقاً، ويمكن لنا ان نورد أساسين عامين لأفكار سروش المستقاة هما:

١. أوربا والعالم الغربي:

فقد أخذ أفكاره واطروحاته من علماء قد سبقوه في أوربا والعالم الغربي، وغيرهم من المعاصرين من أمثال: اريك دونالد هيرش، وهوبز، وجون لوك، وفولتير، وفنسنت ليتش، وميشال مسلان، وتيودور ادورنو، ويورغن هابرماس، وتيري ايغلتون، وديفيد هارفي، وميشيل فوكو، وماكس فيبر، وماركس، وغرامشي، ونيتشه، وانيشتاين، وداروين، وغروتيوس، وديكارت، وسبينوزا، وجون فيكو، وميكافيللي، وجان جاك روسو، وفرويد، وشلايرماخر، وهيغل، وغواشيم واش، وأوغست كونت، وبول ريكور، وديفيد هيوم، وكانط، وكوبرنيكوس، وتليش، وغاستون باشلار، وتوماس كون، وغروفيتش، وغادامير، وهايدغر، ويونغ، وكارل رينر، وهرمس، واوغسطين، ونولدكه، ودرمنغهام.

٢. عربياً وإسلامياً:

فقد أخذ من: المعتزلة، وأخوان الصفا، ويوحنا الدمشقي، جلال الدين الرومي، ، وابن خلدون، وحافظ الشيرازي، والغزالي، والفيض الكاشاني، ومحمد حسين الطباطبائي، وابن عربي، ومحمد اركون، ومحمد عابد الجابري، ونصر حامد ابو زيد، ومحمد أحمد خلف الله، وأمين الخولي، وعادل ضاهر، وصادق جلال العظم، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وبازركان، وعلي شريعتي، ومرتضى المطهري، وفتح علي آخوند زاده، ومهلجراني، وهاشم آغاجري، واقبال اللاهوري.

إن هذا الخليط من الأفكار يلخصه الشيخ صادق لاريجاني بقوله: (قد اتضح لي بعد عشر سنوات من بداية انتقادنا أن أياً من الدعاوى الأصلية للدكتور سروش في مقالات القبض والبسط لم يكن من ابداعاته، بل هي مطالب جمعها من هنا وهناك، وخصوصاً من مباحث الهرمنوتيك (Hermenutics) وادرجها في مقالاته بدون الارجاع إلى الأصحاب الأصليين للفكرة. والعجيب انه احياناً يذكر مراجعاً أو علة مراجع لبعض المقالات والمباحث الفرعية؛ لكنه لا يقول من أين أخذ أفكارها الأصلية. ولا اعتقد ان هذه الطريقة في الكتابة هي طريقة مقبولة في زماننا؛ ويا ليته عمل بشكل صادق في هذا الأخذ والاقتباس، ونقل كل ما يحدث في المحافل الغربية في هذه المجالات، لا كل ما يلائم مذاقه فقط. لقد تتبعت أصول كلام القبض والبسط في كتابات متعددة في فلسفة العلم والهرمنوتيك، فأحياناً كان يأخذ ويقتبس بشكل عشوائي؟، وإن الإصرار على بشرية الفهم وتاريخية الفهم وارتباط كل الأفهام مع بعضها وتوقف كل الأفهام على الفرضيات، هي كلها دعاوى قد طرحت أحياناً بعينها في الكتب المرتبطة بالهرمنوتيك وفلسفة العلم، وهذا لا ينقص ابداً من عدم معقولية بعض الادعاءات؛ فمجرد ان يتكلم هذا الفيلسوف الغربي أو ذاك، لا يجعل الباطل حقاً، ولكن البحث في أنه لماذا يكتب كاتبنا مقالاته وكتبه بهذا التبختر، وشيئاً فشيئاً تصل كتاباته إلى أنه يقول:(مدعانا الكبير هو أنه...) مع أن المدعى ليس له. ويتقدم أحياناً بما يظهر ان مطالب الكتاب لم تنقش إلى الآن إلا على صحيفة نفسه؛ مع أن الأمر ليس كذلك...)[1].

---

(1) المعرفة الدينية، صادق لاريجاني، ص ٦_٧.

القرآن الكريم ومنهج الهداية

إن الغرض التعليمي من المرادات الجدية في كتاب الله تعالى والهدف الأساس من وراء ذلك هو؛ هداية البشرية جمعاء، لكن السؤال المهم هو: كيف لنا أن نحدد المراد الإلهي؟

للجواب عن ذلك نقول: لولا وجود الأنبياء والرسل والأوصياء (عليهم السلام)، ووجود الكتب السماوية لما استطعنا فهم المراد الإلهي لجملة من أسرار الوجود الكوني و الإنساني.

إن الإنسان أدرك بفطرته و بما أتاه الله تعالى من نعمة العقل أموراً مهمة في هذا الوجود ، لكنه لم يستطع معرفة الحقائق و الأسرار المهمة لهذا الوجود .

لقد كان إرسال الرسل و الكتب السماوية من اجل تعليم الإنسان أهمية و غاية وجوده في هذا الكون ، و لكي يعرف ما الواجب عليه تجاه كل شيء ، بدءً من نفسه و انتهاءً بخالقه جل و علا.

إن معارف القرآن الكريم و علومه لا تفنى و لا تنقضي ، و لقد أشار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى تلك الأبعاد اللامتناهية بقوله : ((ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه ، و سراجاً لا يخبو توقده ، و بحراً لا يدرك قعره ، فهو ينابيع العلم و بحوره ، و بحراً لا ينزفه المستنزفون ، و عيون لا ينضبها الماتحون ، و مناهل لا يغيظها الواردون))([1]) .

إن للقرآن أساليبه المتميزة في عرض مضامينه وأداء وظائفه ، ذلك أنه يخاطب ويعالج الكيان البشري بكل مكوناته وبكل متطلباته دفعة واحدة ، ولذلك تمتزج فيه ـ في الموضع الواحد ـ عناصر متعددة للخطاب ، أو عناصر متعددة للمعالجة ، فتجد أسس العقيدة مع جزئيات التشريع ، و تجد القصص مع المواعظ ، وتجد

([1]) نهج البلاغة ، الخطبة رقم (١٩٨) .

الحِجَاج المنطقي مع ذكر الجنة والنار ، وتجد مشاهد الطبيعة مع تكاليف العبادة ، و هكذا .

إن التشريعات هي التي تتعلق بأفعال العباد من حقوق و واجبات ، و تقنينها بالدستور الإلهي العام و الشامل لكل بني البشر ، ضمن مورد الطاعة العام ، و هناك تقنين خاص بالأديان السماوية من خلال وضع الملامح العامة و الأساسية للعبادات و من ذلك الدين الإسلامي الذي وضع دستوراً في تقنين افعال العباد بما يختص بالصلاة و الصوم و الحج و الزكاة و باقي العبادات ، و ما يتعلق بها من وجوب و حرمة و أحكام أخرى .

إن (التشريع الإسلامي في اتجاهاته العامة و خطوطه يتأثر و ينبثق و يتفاعل مع وجهة النظر القرآنية و الإسلامية إلى المجتمع و عناصره و أدوار هذه العناصر و العلاقات المتبادلة بين الخطين)([1]) . أي : خط علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان ، و خط علاقات الإنسان مع الطبيعة .

إن (المضمون التشريعي الذي وضع قواعد السلوك الفردي ، و المجتمعي ، و الدولي تحت قاعدة الحلال و الحرام ، و التي نتج عنها علم آيات الأحكام ، ثم الفقه الإسلامي ، ثم منهج ذلك الفقه المسمّى بأصول الفقه ، و قد ترادف معها حشد من الأحاديث النبوية و الروايات عن أئمة أهل البيت المعصومين سلام الله عليهم أجمعين الشارحة و المبيَّنة لتلك الآيات التي اندرجت تحت عنوان أحاديث الأحكام ، و تهيكل العلم بالقواعد الاجتهادية ، و مورست هذه العلوم في اللحظات الأولى للنزول القرآني)([2]) .

([1]) المدرسة القرآنية ، محمد باقر الصدر ، ص ١٨٥ .
([2]) محاضرات في تفسير آيات الأحكام ، عبد الأمير كاظم زاهد ، ص ٢٤ .

ولا بدّ من فهم حقيقة النظام التشريعي الذي جاء لتقنين حياة الإنسان و مسيرته ، و جاء لتنظيم علاقاته مع خالقه ، و مع الآخرين ، و مع كل ما حوله ، و هذا التقنين و التشريع في بعض الأحيان ـ أن لم يكن الأكثر ـ يعتبره الإنسان تقييداً له و حداً لحريته ، إلا أنه لو فهم أنه يضمن له حقوقه و إنسانيته و يكسبه مزيداً من الاحترام و الاستقلالية التي قننت ضمن قواعد و قوانين هدفها خدمته و ضمان كرامته .

أما (قضية العقيدة ـ كما جاء بها القرآن ـ قضية اقتناع بعد السياق و الإدراك ، و ليس قضية إكراه و غصب و إجبار ، و لقد جاء القرآن يخاطب الإدراك البشري بكل قواه و طاقاته ... في غير قهر حتى بالخارقة المادية التي قد تلجئ مشاهدها إلجاءً إلى الإذعان ، و لكن وعيه لا يتدبرها و إدراكه لا يتعقلها لأنها فوق الوعي و الإدراك ... إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق " الإنسان " التي يثبت له بها وصف " إنسان " فالذي يسلب إنساناً حرية الاعتقاد ، إنما يسلبه إنسانيته ابتداء ... و مع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة ، و الأمن من الأذى و الفتنة ... و إلا فهي حرية بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة)([1]) .

اما في أهم المباحث العقائدية ألا و هو دليل وجود اللّه تعالى نقول :

إن الله سبحانه و تعالى في محكم كتابة الكريم قال: **((يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيّ الْحَمِيدُ ء إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيد))** فاطر (١٥) .

إن الظواهر الكونية من الذرة إلى المجرة ، أي السماوات والأرض وما فيهما هي جمادات فقيرة في ذاتها ، كانت لا شيء ثم وُجدت فهي مسبوقة بالعدم ، فلكي توجد لا بد من موجدٍ لها لأنها لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها ، وهذا الموجد لها لا بد وأن يكون غنياً عنده القدرة على إيجادها ليخرجها من العدم إلى الوجود . و الإنسان يدخل ضمن هذه القاعدة، فإنه في ذاته فقير ليس غنياً أي لا يقدر أن يوجد نفسه بنفسه بل يحتاج إلى قوة أكبر منه توجده .

إن القرآن الكريم قد احتوى على تفصيل تأريخي لسيرة حياة الأنبياء والمرسلين السابقين (عليهم السلام) وهو التأريخ الذي لم يكن يعرف العرب عنه شيئا سوى الأحبار والرهبان ، وكانوا على خلاف فيما بينهم ، أما أمة العرب فقد كانوا أميين لا يعلمون شيئا عنه ، فلما جاءهم النبي محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) بتأريخ الرسل والأنبياء مفصلاً ، أعترف به بعض هؤلاء الرهبان والأحبار وصدقوه فيما روى عن ربه جل و علا . فخرجوا من دينهم و اتبعوا النبي محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) ايماناً و تصديقاً و طاعة لله تعالى .

قال تعالى : ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ)) يوسف (٣) .

و قال تعالى : ((كَذلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ ما قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْناكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً)) طه (٩٩) .

إن هناك قسماً كبيراً من الآيات القرآنية أختص بنقل قصص و وقائع الأمم السالفة ، فلا شك أن عرض هذه القصص لم يكن للسرد فقط ، بل لأجل اغراض اسمى و أكبر ، فقد جاءت هذه القصص ـ بشكل عام ـ لأخذ العبرة و للحصول على العلم و المعرفة و التجربة المفيدة من بين ثنايا هذه القصص لأجل الاستفادة منها في مسيرة الحياة الإنسانية .

قال تعالى : ((قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ)) الروم (٤٢) .

فهذا أمر للنبي (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يأمرهم أن يسيروا في الأرض فينظروا إلى آثار الذين كانوا من قبل ، حيث خربت ديارهم ، و عفت آثارهم ، و بادوا عن آخرهم ، و انقطع دابرهم ، بأنواع من النوائب و البلايا ، كان أكثرهم مشركين ، فأذاقهم الله بعض ما عملوا ليعتبر به المعتبرون فيرجعوا إلى التوحيد[١] .

نعم ، إن هناك تخرصات مشككة بالقصص القرآني صاغها جملة من المشككين من أمثال (أمين الخولي)[٢] و غيره[٣] .

فنجد أن أمين الخولي ـ مثلاً ـ يقول : (و بهذا التفريق بين العرضين ـ الفني و التاريخي ـ للحادثة و الواقعة تبيّن في وضوح قريب أن عرض القرآن لأحداث الماضين ، و وقائع حياتهم ، و الحديث عن تلك الأحداث ، و الأشخاص ليس إلا العرض الفني الأدبي .. لا العرض التاريخي التحقيقي)[٤] .

وفي شأن ذلك يقول السيد محمد حسين الطباطبائي: (هذا خطأ فإن ما ذكر من أمر الفن القصصي، حق غير أن ذلك غير منطبق على حالة القرآن الكريم، فليس القرآن كتاب تاريخ ولا صحيفة من صحف القصص الخيالية، و إنما هو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، و قد نص على أنه كلام الله سبحانه، وأنه لا يقول إلا الحق، وأن ليس بعد الحق إلا الضلال، و أنه لا يستعين للحق بباطل ، و لا يستمد للهدى بضلال ، و أنه كتاب يهدي إلى الحق ، و إلى صراط مستقيم ، و أن ما فيه حجة لمن أخذ به ، و على من تركه في آيات

---

(١) تفسير الميزان ، الطباطبائي ، ج١١ ، ص ١٩٧ .
(٢) أمين الخولي (١٨٩٥ ـ ١٩٦٦ م) .
(٣) كـ محمد أحمد خلف الله في كتابه : الفن القصصي في القرآن الكريم .
(٤) القصص القرآني في منطوقه و مفهومه ، عبد الخطيب عبد الكريم ، ص ٢٧٦ ـ ٢٨٠ .

جمة لا حاجة إلى إيرادها ، فكيف يسع لباحث يبحث عن مقاصد القرآن أن يجوز اشتماله على رأي باطل ، أو قصة كاذبة باطلة ، أو خرافة ، أو تخييل ... إنه كتاب يدعي لنفسه أنه كلام إلهي موضوع لهداية الناس إلى حقيقة سعادتهم ، يهدي بالحق و يهدي إلى الحق و من الواجب على من يفسر كتاباً هذا شأنه و يستنطقه في مقاصده و مطالبه ، أن يفترضه صادقاً في حديثه مقتصراً على ما هو الحق الصريح)([1]) .

و في الرد على أمين الخولي يقول (سيد قطب) : (إن أمين الخولي يعاني أزمة نفسية ، و إنه ينظر فيرى نفسه لا يقل إن لم يكن خيراً من أساتذة جامعيين كبار في هذا البلد ، ثم لا يرى لنفسه مثل مكانهم في العالم الخارجي خارج الجامعة ، و أقرب الأمثلة أمامه الدكتور طه حسين و ما يتمتع به من مكانة ملحوظة ، و الأستاذ أحمد امين و ما له ـ كذلك ـ من شهرة ، و هذا الوضع يسبب له قلقاً نفسياً يتجلى في مظاهر كثيرة كلها تدور حول لفت النظر بكل وسيلة ، و أبسط مظاهر ذلك أنه لا يكاد يستقر على زي في ملابسه ، و لا تأمن أن تراه في أي يوم بزي غير ما عهدت منه في اليوم السابق ، و أزياؤه في التفكير كأزيائه في الملابس كلها اندفاعات و شطحات)([2]) .

كما و ان هناك من يقول: (ان القرآن يحمل هدفاً مقدساً ، فهو يذكر قصصاً لأجل الدرس و العبرة ، و ليس لمجرد عرض التاريخ ، و لذا لا فرق لديه بين أن تكون تلك الوقائع التي ذكرها قد حدثت فعلاً أو لا ، كما في الكثير من كلمات الحكماء عندما يذكرون الكثير من الحكمة و العبرة على لسان بعض الحيوانات

([1]) تفسير الميزان ، الطباطبائي ، ج٧ ، ص ١٦٥ ـ ١٦٧ .
([2]) جريدة (السواري) العدد ٦٦ الصادر يوم الأثنين ١٦ صفر ١٣٦٧ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٩٤٧ م .

، كقصص كليلة و دمنة ، و عليه فلا ضرورة للعناء في تحليل أن قصص القرآن هي تاريخية أو تمثيلية لأجل العبرة)([1]) .

و عن هذه المدعيات يرد الشيخ مرتضى المطهري بقوله: (إن مثل هذا الكلام كلام وضيع جداً ، فمن المحال أن يقوم الأنبياء و الذين منطق نبوتهم هو الحقيقة ، أن يقوموا ببيان الواقع و لو بنحو التمثيل . ففي اللغات الأدبية في هذا العالم تجد كثيراً مثل ذلك ، سواء على لسان الحيوانات أو بالاعتماد على التمثيل . و أما القرآن ، و النبي ، و الأئمة و من تربّى على هذا الدين ، فمن المستحيل أن يتوسل بأمر غير مقدس لأجل الوصول إلى هذا الهدف المقدس ، بأن يستخدم أمراً باطلاً لا حقيقة له ، و لو بنحو التمثيل . و ينقل هو هذا الأصل ـ أي عدم إمكان استخدام وسيلة غير مقدسة لأجل الوصول إلى هدف مقدس ـ عن العلامة الطباطبائي في الميزان، ويصل إلى أننا لا شك لدينا في أن كافة القصص القرآني، كما ورد ذكره في القرآن، هو عين الواقع . و بعد أن يذكر القرآن قصة ما فلن نعود بحاجة إلى تأييد ذلك بأي تاريخ من تواريخ الدنيا)([2]) .

كما و يقول السيد الطباطبائي: (فإن الآيات القرآنية و كذا ما نقل إلينا من بيانات الأنبياء الماضين ظاهرة في كونهم لم يريدوا بها المجاز و التمثيل ، بحيث لا يشك فيه إلا مكابر متعسف و لا كلام لنا معه ، و لو جاز حمل هذه البيانات إلى أمثال هذه التجوزات جاز تأويل جميع ما أخبروا به من الحقائق الإلهية من غير استثناء إلى المادية المحضة النافية لكل ما وراء المادة)([3]) .

([1]) تحليل لغة القرآن و اساليب فهمه ، محمد باقر سعيدي روشن ، ترجمة : علي عباس الموسوي ، ص ٣٧٦ .
([2]) المصدر السابق ، ص ٣٧٦ نقلاً عن كتاب : سيرى در سيرة نبوي ، مرتضى مطهري ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .
([3]) الميزان، الطباطبائي ، ج٢ ، ص ٣١٤ .

خصائص القرآن الكريم

إن للقرآن الكريم جملة من الخصائص التي اختص بها عن بقية الكتب السماوية، وقد أوردت العديد من الكتب تلك الخصائص، والتي منها:

١ـ أنه نزل باللغة العربية .

قال تعالى : ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) يوسف (٢) .

و قال تعالى : ((قُرآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)) الزمر (٢٨) .

٢ـ فيه أخبار ما سبق و ما سيأتي .

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ((كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ، و نبأ ما بعدكم ، و هو الفصل ليس بالهزل ...))[1] .

قال تعالى : ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)) يوسف (٣) .

و قال تعالى : ((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ)) غافر (٧٨) .

٣ـ اشتمل على آيات تضمنت القواعد العامة في التشريع و بعض الأحكام الشرعية .

قال تعالى : ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)) النحل (٨٩) .

و قال تعالى : ((مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)) الأنعام (٣٨) .

و هذا لا يعني أنه يحيط بكل جزئيات الوقائع و الحوادث و تفصيلاتها ، بل هو تبيان من حيث احاطته بأصول و قواعد و كليات عامة ، و التي تعتبر الأساس في كل قانون أو نظام .

---

[1] مصنف ابن ابي شيبة في الأحاديث و الآثار ، ابن ابي شيبة ، ج٧ ، ص ١٦٤ .

قال الأمام الصادق (عليه السلام) : ((إن الله تبارك و تعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى ـ و الله ـ ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد ، حتى لا يستطيع عبد يقول : لو كان هذا أُنزل في القرآن ، إلاّ و قد أنزل الله فيه))[1] .

قال الشيخ الطبرسي في تفسير قوله تعالى ((**تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ**)) : (أي بياناً لكل أمر مشكل و معناه ليبين كل شيء يحتاج إليه من أمور الشرع فإنه ما من شيء يحتاج الخلق إليه في أمر من أمور دينهم إلا و هو مبين في الكتاب أما بالتنصيص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي " صلى الله عليه و آله و سلم " و الحجج القائمين مقامه أو إجماع الأمة فيكون حكم الجميع في الحاصل مستفاداً من القرآن)[2] .

---

(1) الكافي ، الكليني ، ج١ ، ٥٩ ، ح١ .

(2) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطبرسي ، ج٦ ، ص ٥٨٦ .

أسباب الهجوم على القرآن الكريم

إن القرآن الكريم، كتابٌ أنزله الله سبحانه وتعالى هدىً وبشرى بين يدي رحمته، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، مستنقذاً لهم من أهواء المضلين وفساد المفسدين وخداع المحرفين، الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

فهو خاتم الكتب السماوية، والداعي إلى حقيقة الطاعة الإلهية، والمبشر بدينٍ عالمي واحدٍ هو (الإسلام).

قال تعالى: **((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآَيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ))** آل عمران:١٩.

فإذا كان كذلك، فليس من المعقول أن يرضى المتسلطون بأن تنفى جميع سلطاتهم وان يكونوا سواسية كباقي أفراد المجتمع، ذلك أنّ كتاباً اسمه (القرآن) قال بذلك. بالتأكيد لا، والدليل على ذلك إن كانت حصة (القرآن الكريم) كبيرة جداً من الطعن والتشويه والمحاربة بكل الطرق وبشتى الصور، وبجميع الإمكانيات المتاحة عندهم.

نعم، لقد كانت حصة القرآن الكريم من الطعونات الشيء الكثير، كونه دستور الإسلام الحقيقي وكتابه التشريعي الإلهي.

القرآن الكريم هو كتاب الخالق ومعجزته إلى خلقه نزله تعالى ليبين للناس ما اختلفوا فيه من أخبار، وتشريعات. فيه من الحكم والعبر والأمثال ما ينتفع به الناس إلى يوم القيامة كما وان فيه من الأسرار ما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم.

قال تعالى: **((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا**

تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)) آل عمران: ٧.

لقد سلك أعداء الإسلام طرق ومناهج متعددة ومتنوعة للطعن فيه؛ ذلك لأنهم يعلمون أنه دستور الإسلام، وأساسه، وأصله، ومنهجه، فالتشكيك فيه تشكيكٌ في أساس الدين الإسلامي، وبالتالي إضعافه، وصَرْف المسلمين عنه[١] كونه الطريق السوي، والصراط المستقيم الذي أراده الله تعالى للبشرية جمعاء، هدى ورحمة ونجاة.

إنّ معظم المطاعن التي وجهت للقرآن الكريم كان سببها، العداء المباشر للدين الإسلامي، كل ذلك اعتماداً على ما لا يصح من الأخبار الواهية، والمختلقة الكاذبة، فجاء المستشـرقون ليضيفوا إليها ما شاءت لهم أنفسهم أن يضيفوه، ممن هو من بنات أخيلتهم وصناعة أوهامهم، جمعتهم على ذلك راية واحدة ألا وهي: (العداء للإسلام).

يذكر محمد حسين هيكل[٢] في كتابه (حياة محمد) وتحت عنوان (المستشرقون والمقررات الدينية): أن مباحث هؤلاء المستشرقـين تريد الاستدلال على أن القرآن ليس وثيقة تاريخية لا محل لريبة فيها، بل يريدون أن يثبتوا بأن القرآن الكريم قد حُرِّف بعد وفاة النبي (ص)، وفي صدر الإسلام، وأضيفت إليه أثناء ذلك آيات لأغراض دينية، أو سياسية[٣].

لقد كان لأدوات (الحرب الناعمة)، دور كبير في إبعاد (المجتمع المسلم) عن أهم معين روحي موجود لديه وهو (القرآن الكريم)، ساعد على ذلك (التماهي)،

---

(١) فضلاً عن غيرهم.
(٢) محمد حسين هيكل (١٨٨٨ - ١٩٥٦م) كاتب وسياسي مصري.
(٣) المستشرقون والقرآن: ٢٧٢، نقلاً عن كتاب (حياة محمد) محمد حسين هيكل: ٢٩ -٣٠.

و(الانبهار)، و(الشعور بالدونية) عند جملة من المجتمع، أنعش أوارها عوامل التنفير الداخلية، وعوامل الجذب الخارجية.

إن (خير أمة أخرجت للناس)، و(أمة اقرأ)، و(الأمة المرحومة)، و(أمة الدين الخاتم)، و(أمة النبي الخاتم)، و(أمة الكتاب السماوي الخاتم)، و(أمة العلم والقلم)، و(أمة تكريم الإنسان)، قد اصبحت في آخر ركب الأمم الأخرى، وأصبحت خارج التاريخ، وذلك لسببين مهمين هما:

الأول: ابتعادها عن القرآن الكريم، وعن كل ما به من تعاليم إنسانية.

الثاني: عدم قدرتها على رد هجمات الأعداء العسكرية والثقافية، وبالخصوص الهجوم الشرس على القرآن الكريم.

إن عبد الكريم سروش يمثل واقعاً موجوداً داخل المجتمع الإسلامي بشكلٍ عام، وداخل الواقع الشيعي بشكلٍ خاص، نعم ان عبد الكريم سروش قد أعلن ذلك، ورفع لواء العداء طارحاً دعواته وانتقاداته (التجميعية)، لكن الأشد خطراً منه هم من يعيشون بيننا ويهدمون من الداخل الذين يتسربلون سربال (التقديس) المموه، وهؤلاء ليسوا بالقلة، بل هم في أماكن خطرة وحساسة جداً.

لقد شاكلت وشابهت دعوات عبد الكريم سروش أغلب الدعوات التي نادى بها (محمد اركون)، وكان التشابه الأكبر فيما بينهما قد وصل إلى حد التطابق في جملة من المطالب المطروحة، ولا ندري من منهما سرقها من الآخر؟ أو من هو صاحب المقولة الأصلية؟

إن الجامع المشترك لأغلب المشاريع النقدية انها مشاريع مسروقة، هدفها الهدم والتشويه، يقود لوائها المنتفعون والحاسدون، ويتأثر بها الجهلة والمغفلون، ويروج لها الذيول والمنبوذون.

الفهرس